أئمة لغيرهم يقتدى بهم ويهتدى بهديهم فعليهم أن يتحدوا وان يتخلوا عن الرذائل والدنآت وان يتجردوا من التعصب ورد الحق على قائله وان يتبعوا الخطة الحميدة والطريقة المفيدة ألا وهى ما أمرهم به أمير البلاد وخديويها المعظم وارتضاه مشاهير العلماء من ترك قراءة الحواشى وصرف الزمن فى المناقشات والمشاغبات فانه اشتغال وضياع للوقت في خدمة كلام المخلوق واعراض عن الاشتغال بكلام الخالق وتفويت للاحاطة بأحكام الشريعة الغراء والفنون الادبية ومايتوقف من أن الاشتغال بالحواشى يقوى الذهن دون مادعاهم اليه مجلس ادارة الازهر فغلط أوقعهم فيه حكم العادة التى شبوا عليها وذلك لانه بترك الحواشى والمناقشات يتيسر لهم الاشتغال بالفنون العقلية من الحساب والهندسة فتفيدهم في الذهن قوة أكثر مما يستفاد بالحواشى ولذا كان العلماء يشتغلون بالرياضيات قبل العلوم الحكميه وقد امرهم أمير البلاد بالخطة الجديدة لاجل أن يكون لهم احاطة بالعلوم وترق في المعارف ولانه رأى مالم يروه من تعيب أهل الوقت لخطتهم حتى كان من الحسن عندهم تفريق هذا الجمع فعسى أن يلتفت قومنا لما هو الاحرى والانفع دنيا وأخرى

مؤاخذة العلماء والرد على جريدة طرابلس

تتمة ماسبق

(الاعتذار الثانى) ملخصه ـ اذا شرع العلماء فى الخطب فى المجامع والنوادى وركبوا الاخطار للمواعظ ونشروا المقالات في الجرائد والدفاتر واجتمعوا للمذاكرة وتدبير شؤون الأمة واستنباط القواعد المتكفلة

بالاصلاح وجمعوا الثروة لاقامة الشركات العمومية وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ـ قالت طرابلس ـ «لاسيما لأهل السطوة والنفوذ وشدوا على الكثير من فاسدي الاخلاق وحاولوا نزع خلالهم الفاسدة عنهم الى أمثال ذلك من الشؤون التي يرجى عندها نهضة الامة فهل يروق ذلك منهم في كل نظر ويساعدون عليه من أهل البدو والحضر أو يعارضون أشد المعارضة ويقصدون بالاذى من ذوي الشرور وحقائب الريب والعيب ولا يقوم بمساعدتهم الا من لا تجدي مساعدته نفعاً وربما نسب اليهم أنهم جماعات افساد ودسائس ضد الحكومة أو الامة أو مثل ذلك ويرشقون بسهام الملام من أكثر الانام حتى يقول قائلهم ما لهؤلاء القوم يتعرضون لما لا يعنيهم واذا منوا بالاذى ظهرت الشماتة بهم حتى من أهليه وقيل هكذا جزاء التعرض لما لا يعنى الانسان فما كان أغنى هؤلاء العلماء عن المطاردة في هذا الميدان » اه

الجواب : اذا كان وجوب الارشاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروطاً بأن يروق عند الشروع فيه في كل نظر ويساعد عليه أهل البدو والحضر كما يفهم من صريح كلام الجريدة (طرابلس) فلا شك ان الوجوب ساقط عن العلماء بل لا ريب في أن هذا الفرض لم يتحقق شرطه في عصر من الاعصار وان ثبوته في الشرع لا معنى له ولكن هذا الشرط لم يقل به شرع ولا عقل فذكره في معرض الاعتذار عن العلماء وبيان سقوط الوجوب عنهم قول لا معنى له . وأما المعارضة والقصد بالاذى فالأولى منهما لا معنى لذكرها أيضاً ولكن القصد بالاذى محل نظر ويحتاج القول فيه الى تفصيل نكتفي بموجز منه لان كلامنا مع أهل العلم فنقول

أولا ان القصد بالاذى لاجل الارشاد غير محقق وانما هو احتمال يصح

أن يفرض وقوعه في كل عمل ثانيا ان القصد لا يوجب الايقاع لاحتمال الموانع من جانب الفاصد أو المقصود أو الاحوال الخارجية ثالثا ان الاعمال الواجبة على العلماء كثيرة جدا وغير جائز ان يكون كل عمل متروك منها يعود على فاعله بالضرر والاذى فيجب على العالم أن يأتي مايغلب على ظنه السلامة فيه حتى إذا ماساوره البلاء وواثبه الايذاء وتحقق انه لا يستطيع الغلب يعدل عنه الى عمل آخر . رابعا ان الاذى أو الضرر الذي يخافه من يقوم بخدمة الامة له درجات سنفصل القول فيها عند الكلام على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونكتفي هنا بقول أئمة العلماء إن توقع الايذاء الشديد حقيقة كالضرب المبرح والقتل والسلب إذا غلب على الظن بامارات واضحة يسقط وجوب الحسبة ويبقى الاستحباب وأما الرشق بسهام الملام الذي يخاف منه أستاذ طرابلس وذكره في الاعتذار فلا يسقط الوجوب قال الامام حجة الاسلام الغزالي « ولو تركت الحسبة بلوم لائم أو باغتياب فاسق أو شتمه أو تعنيفه أو سقوط المنزلة عن قلبه وقلب أمثاله لم يكن للحسبة وجوب أصلا اذ لا تنفك الحسبة عنه »

ثم ان مانحن في أشد الحاجة اليه من ارشاد العلماء يحصل باصلاح التعليم والخطابة الجمعية وكثرة المذاكرة في مواضيع الاصلاح في المنتديات والسمار ولا خطر على العلماء في شيء من ذلك الا في دار السلطنة حيث يمنع الاجتماع والكلام في الاصلاح الذي يمس السياسة فقط فعليهم أن يستبدلوا ما لا خطر فيه بما فيه الخطر ووراء هذا كله نقول أين ورائه النبوة التي هي مفخر العلماء أما كان الانبياء يُضربون في سبيل تعليم الحق وارشاد الناس ويهانون ويسبون ويشتمون ويهجرون ويطردون بل وكثير منهم يُقتلون. أليس العلماء أحق الناس بالاخذ بآية (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله

واليوم الآخر) أما يعلم صاحب الاعذار ان رسوله أوذى فى الله فألقى عليه سلا الجزور وهو يصلى ورمى بالاحجار وألجىء الى ترك وطنه وشج رأسه وكسرت رباعيته ؟ أين الذين لا يخافون فى الله لومة لائم ؟ هل يرضى العلماء ان يكونوا ممن قال تعالى فيهم (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله) اذا كانوا يعلمون ان الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم وكلفهم بان يبذلوها فى سبيل الحق فكيف يعرضون عن عمل يعترفون بان فيه قوة الملة ومنعتها وعزها وشرفها اجابة لداعى الوهم واخلادا الى الراحة والكسل (أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين)

(العذر الثالث) ملخصه كما فى أسئلة جريدة طرابلس ماترى « هل لديك من يضمن حسن العاقبة لهؤلاء الاخيار ويؤمنهم على مستقبل حالهم ان نجشموا هذه الاخطار » — تأملوا أيها الناس وتعجبوا — « ولله لئن كان لديك أيها اللائم حضرات العلماء على تقصيرهم المزعوم من يضمن لهم أمر معاشهم ومعاش عيالهم ويؤمنهم على حياتهم وشرفهم إن هم قاموا بما به عليهم حكمت انى أنا الضمين بأنهم يتهالكون على ارشاد الامة وبعث نفوس أهل الثروة الى خدمة الاوطان والسعى على مقتضى نوايا جلالة السلطان نصره الله تعالى فهم والله ليسوا فى همهم دون همم سواهم من وعاظ الغرب ولا أقل نشاطا ولا أضعف قوة بل فيهم الهمم العالية والنفوس السامية والايمان الذى يحملهم على اخلاص النصيحة ان قدروا وسلموا ولا يكلف الله نفسا الا وسعها »

الجواب : ان هذا العذر مبنى على سابقيه لان حاصل العذر الاول أن الارشاد المطلوب يتوقف على الثروة فان كان يوجد من يمد العلماء بالمال فانهم

يقومون به وحاصل الثاني ان الذي يقوم بالارشاد يكون عرضة للوم اللائمين وإيذاء المفسدين واتهام المتهمين «وما أغنى العلماء عن المطاردة في هذا الميدان» — نعوذ بالله من الغفلة — وأما الثالث هذا فحاصله ان القيام بالارشاد يشترط لوجوبه مع احتمال ماذكر من الاخطار أن يكون هناك ضامن يضمن للمرشد وعياله حياتهم ومعاشهم وشرفهم ويدخل في ضمان الشرف ضمان الالسنة اللائمة والقلوب الشامتة ولا شك ان شركات الضمان الاوربية التي تضمن الاموال والاعمار الى أجل مسمى لاتقدم على ضمان الألسنة والقلوب التي يخاف صاحب طرابلس من لومها وشماتتها . فان كان يتنزل لنا عن ضمان الالسنة والقلوب اتباعا لحكم الشرع والسترشادا بنور العقل فاننا نضمن له ماعداها

ليؤلف في بلده جمعية من العلماء الذين وصفهم بما مر عنه وليبحثوا في أساليب التعليم النافعة والخطب المفيدة وليتعاهدوا على التعاون بما يظهر لهم انه الانفع ثم ليعملوا وليكن مما يتعاهدون عليه أن يكون كلامهم في النوادي والسمار في مصلحة الأمة والملة عوضاً عن الكلام الذي يضيعون به الحياة العزيزة وهو ما علمه نحن ويعلمه هو . ليكفوا عن جعل الخطب في فضائل الشهور وبعض وقائع الدهور . وليجعلوها سهلة العبارة . خاليه من غريب المجاز والاستعارة . ولا يتكلفوا فيها التسجيع . ولا أنواع البديع . ليفهم الناس جميع مايقولون ويعلموا انهم به مخاطبون . لا انه مقصود بالذات . مكفر بأسرار والمسببات . ليجعلوا الخطب والمناظرات والدروس والمذاكرات في هذه الامراض الروحية والادواء الاجتماعية وفي مناقشتها من المفاسد الزائفة ومضارها من طرق الارشاد الرائعة وبيان الحق بالحجج البالغة . وزهق الأباطيل

بالحقائق الدامغة. ليبينوا للناس حقائق التوحيد والتوكل والزهد والتواضع والاقتصاد ليعلموا ان مراعاة سنن الخلقة والتمسك بالأسباب الظاهرة هو طريق السعادة فى الدنيا كما ان موافقة الأعمال للشريعة الحقة هو سبب السعادة فى العقبى وان طلب السعادتين بغير هاتين الوسيلتين غرور وان الكسل والذل والخمول والسرف والمخيلة والاحتجاج بالقدر والاستعانة بغير الله تعالى والاعتماد على العفو والشفاعات مع التقصير فى العمل — كل ذلك من أسباب الشقاء والخذلان . ولينظروا (أى العلماء) مع ذلك فى طرق التعليم والتأليف الجديدة ويعتمدوا على أقربها وأفيدها ويرشدوا الناس الى ما هم فى أشد الحاجة اليه من الفنون الرياضية والطبيعية ويوضحوا لهم ان الدين والدنيا لا يحفظان الا بها

هذه اشارة الى ما تطلبه الأمة من العلماء فهل يقول أستاذ طراباس ان قيامهم به يعود عليهم بالضرر والأذى وان الوجوب سقط عنهم لذلك أو يوجد ضامن يضمن لهم ما ذكر . . . ؟ ان كان يقول هذا فانا الضامن له ولمن شاء من أهل بلده وغير بلده ما سوى الالسنة والقلوب . حقا أقول انه اذا تدبر فى الأمر فانه يرجع عن أحكامه واعتذاراته ويتثبت بعد ذلك فى مثلها من الاحكام والايمان وما يتذكر إلا من ينيب

﴿ باب التربية والتعليم ﴾

(اختيار المعلمين)

لا ينبغى أن يكون الغرض من إنشاء المدارس إفادة التلامذة بعض مسائل من العلوم والفنون التى تدرس فيها بحيث تكون تلك المسائل مخزونة